القيامة
والترتيب السماوي
للحياة الجديدة

جورج حبيب بباوي

١٤ أبريل ٢٠٠٩

www.coptology.org

القيامة والترتيب السماوي للحياة الجديدة

من المفردات اليونانية – القبطية الهامة كلمة ακολουθια وهي تعني ترتيب، أو تتابع، وتسمى خدمة المعمودية في كنيستنا الأرثوذكسية "ترتيب خدمة المعمودية". لكن هذه الكلمة لا تعنى مجرد التتابع مثل ١، ٢، ٣ ... إلخ، بل تعني تتابع مراحل استعلانات الخلاص، فهي تعني الترتيب حسب القصد أو الغاية من التدبير "الإيكونوميا".

بالنسبة لنا، يوجد في حياتنا – كبشر – ترتيب أو دورة بيولوجية تبدأ من الحبل – الولادة – الحياة – القبر، أي أن لنا ακολουθια حسب حياة الجسد.

أمَّا حسب تدبير الخليقة الجديدة، فقد جاء الرب يسوع ودخل دورةً أخرى تبدأ بالحبل به – الولادة – الحياة – المعمودية – البرية – الصليب – الدفن – القيامة – الصعود؛ لأن الرب يسوع قد زرع ترتيباً آخراً غير الترتيب البيولوجي.

وإذا دققنا النظر، وجدنا أن الدورة أو الترتيب السماوي الخاص به يبدأ بالحبل به بالروح القدس – الحياة العامة التي تبدأ بالمسحة في الأردن – الصلب – الدفن – القيامة – الصعود.

هذه الدورة تبدأ من اللاهوت، وتنتهي بمجد اللاهوت. تبدأ بالتجسد الإلهي في تواضع وإخلاء الذات، وتنتهي بالصعود الإلهي حيث يدخل يسوع "إلى مجده".

من المجد – إلى الإخلاء – إلى المجد.

من الحبل والولادة – إلى القيامة، مروراً بالمعمودية – الصلب – الدفن – القيامة.

الحبل به كان بالروح القدس، ولكن الرب عاد إلى سحابة المجد الإلهي التي أخذته عندما ارتفع، سحابة "الشاكيناه"، فعاد إلى مجده بالروح القدس.

مُسِحَ يسوع بالروح القدس، فصار "المسيح"، وحمل هذه المسحة وخدم بها وصُلِبَ بها، وحملها معه إلى القبر لأن جسده "لم يَرَ فساداً"، ثم قام بالمسحة، وصعد

بالمسحة. وهكذا صار الروح القدس شريكاً للابن في تأسيس الخلاص.

عاد الرب إلى مجده حاملاً معه الناسوت الذي أخذه من العذراء، ولكن صار هذا الناسوت "جسد مجده" (فيلبي ٣: ٢١)؛ لأن بعد الإخلاء مجد، ولذلك قال الرب يسوع نفسه "مجدني أيها الآب بالمجد الذي كان لي عندك قبل كون العالم" (يو ١٧: ٥)، وسمع صوت الآب: "مجدت وأمجد أيضاً".

هذا الترتيب السماوي صعبٌ علينا أن نفهمه إذا حاولنا أن نفحصه على أساس بيولوجي، وحسب التتابع الزمني. فالقيامة ألغت الزمن؛ لأن التجسد حذف الزمان كله، وعبارة "ملء الزمان" (غلا ٤: ٤)، لا تعني زماناً محدداً، لأن الزمان توقف عن أن يكون عنصراً في اتحاد اللاهوت بالناسوت، وبالرغم من أن هذا الاتحاد تم في الزمان، إلاَّ أن الزمان لا يصلح لأن يكون تاريخاً للاتحاد.

كذلك ألغت القيامة أيضاً الزمان "ها أنا معكم كل الأيام وإلى انقضاء الدهر" (مت ٢٨: ٢٠)؛ لأن القائم هو مع الكل حيث يوجد هذا "الكل" في أي زمان أو مكان.

هذا الترتيب السماوي هو ترتيب السرائر الكنسية أيضاً، فبيت لحم (التجسد) مع المعمودية في الأردن تعطي لنا معموديتنا ومسحة الميرون.

وهكذا، حسب ترتيب الحياة الجديدة، بعد المسحة ننال جسد الرب ودمه. هنا تجمع العلية: التجسد، والمعمودية، وعطية الجسد والدم، ثم تعطي لنا قوة الصليب والقيامة.

لنبدأ من آخر الترتيب:

– من القيامة نأخذ عدم الموت، والخلود ونلبس الحياة السماوية التي نزع عنها الصليبُ الموتَ والدينونة، وكسر "شوكة الموت".

– ومن الصليب نأخذ البذل الذي أُعلن سراً في العلية، أي نأخذ الجسد والدم، لكن هذا الجسد وذاك الدم هو دم الحي من الأموات الذي "لم يرَ فساداً".

– ومن الأردن نأخذ المسحة التي بها نطلب حلول الروح القدس على الخبز والخمر في الليتورجية؛ لكي نشترك في المسيح، في ولادته، وفي مسحته، وفي صلبه، وفي

قيامته، ولكي تجمع الإفخارستيا سرَّي المعمودية والميرون معاً

وهكذا، بعد معموديتنا لا توجد إعادة لأي سر، بل يوجد تدفق جديد، وإضافة حياة جديدة للحياة الجديدة نفسها التي أخذناها من المعمودية والميرون، ومن اتحاد اللاهوت بالناسوت.

لنعود إلى بداية التدبير من جديد:

– يتحد اللاهوت بالناسوت في أقنوم الله الكلمة دون وسيط، ودون أية وسيلة، سوي ما عمله الروح القدس عندما هيَّأ جسد الابن.

– من هذا الاتحاد الفائق تدفَّق عدم الفساد، ولكن بعد إبادة الموت من جسد الرب.

كان الرب يبيد الموت من البشرية؛ لأنه الكلمة اللوغوس خالق كل الأشياء، ومحيي كل الكائنات، ولكنه الآن – في الصليب – يبيد الموت من كيانه هو، من ناسوته الذي حرره من الفساد والموت (ضد الأريوسيين ٣: ٣٤).

هكذا لا يعمل الترتيب السماوي حسب الزمان أو التتابع البيولوجي، بل ينتظر الاتحاد الأقنومي الموت لكي يبيد الموت، وينتظر المعمودية لكي يثبِّت في كيانه المتجسد مسحة الروح القدس لكي "نُمسح فيه"، ونشترك في مسحته، ولكن هذه المسحة يجب أن تبقى معدة للموت لكي يقوم الرب بقوة الروح القدس (رو ٨: ١١).

ولذلك ما أروع هذه المناسبة: يسوع المسيح يدخل القبر ممسوحاً بالروح القدس لكي يثبِّت لنا من القبر مسحة الحياة الجديدة، ولكي يقيم الروح القدس أجسادنا.

يُصلب الرب لكي يصبح الصليب ختم القيام، أو كتر القيامة؛ لأن الصليب هو غلبة الموت. والقيامة أعلنت هذه الغلبة، ولذلك لا يمكن فصل الموت عن القيامة.

يأخذ الرب الموت؛ لكي "يذبح الموت" (قسمة القديس كيرلس). أو لكي يدوس الموت (تسبحة الخماسين)، أو بالموت داس الموت.

هذا، ليس الصليب وحده بدون القيامة.

لا يوجد في ربنا يسوع المسيح حدثٌ منفصل يقف وحده. كل الأحداث هي

إعلانات، وكل إعلان هو مثل أغصان الشجرة الواحدة، تعـــود كلـــها إلى الجـــذر، والساق هو الاتحاد الأقنومي.

مِن اللاهوت يبدأ كل شيء؛ لكي ينتهي كل شيء باللاهوت، الله الكلمـــة. فمن اللاهوت يأتي الجسد الإنساني جسداً حقيقياً آدمياً؛ لكي يعود إلى السماء "جسداً ممجداً" حقيقياً.

يولد لكي يُمسح، ويُمسح لكي يموت، ويموت لكي يقوم.

وعندما نسمع هذا الإيقاع السماوي علينا أن ندرك أن:

مَن وُلِدَ، أسس الميلاد الجديد.

مَن مُسِحَ، أسس المسحة.

مَن صُلِبَ أسس كسر شوكة الموت.

مَن دُفِنَ، أنار الجحيم ببرق لاهوته.

مَن قام، ألبسنا الخلود.

مَن صَعِدَ، أعطانا ميراث عرشه الإلهي (رؤ ٣: ١٧ – ٢١).

مقابلات شعرية من عند آباء الكنيسة

احتقرناه ..... أعطانا مجده.

رفضناه ..... أعطانا الشركة في الحياة الأبدية.

دُفِنَ في القبر ..... حطَّم الجحيم وأنهض الحياة.

أحطناه بالعداوة ..... أنهض المحبة.

صار عبداً ..... جعلنا أبناءً وأحراراً.

هذا التحول العظيم تعبر عنه كلمة بشارة واحدة:

المسيح قام – حقاً قام

جورج حبيب بباوي

١٤ أبريل ٢٠٠٩